معنى الرأي العام

الدكتور فاضل زكى محمد

تعتبر الدراسات فى علم الرأى العام من الدراسات الحديثة جدا فى الفكر الانسانى • وانه وان كان روسو من أوائل المفكرين الذين أكدوا أهمية رأى الجماعة أو المجموع والذى وصفه « بالارادة العامة » "General Will" ، الا ان دراسة الرأى العام من حيث انها دراسة تفصيلية مستقلة لم تبدأ فى الواقع الا فى بداية القرن العشرين • وقد نالت هذه الدراسة العناية الفائقة والتعمق الكبير ودخلت جامعات عديدة بصورة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية •

واليوم ، يُعنى الكثير من المفكرين المعاصرين بتكريس جهودهم فى هذا الحقل الجديد من المعرفة الانسانية ـ لما لمسه ويلمسه هؤلاء المفكرون من قوة الرأى العام الهائلة فى العصر الحديث على حياة الافراد والمجتمعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية • ولا عجب فى كل ذلك ، اذا علمنا ان الديمقراطية تعتمد على الرأى العام وفيها يتكون أفضل أنواع الرأى العام : وكل ذلك لتستقيم الحياة وتتحقق السيادة الشعبية • ولكى نستعرض أهم معالم الرأى العام ، ينبغى علينا أولا ان نبحث مفاهيمه وتعاريفه المختلفة •

اختلف الكتاب فى تصويرهم للرأى العام • فمنهم من صوره « بالوعى العام للجماعة » أو « تفكير الجماعة »[1] ومنهم من رآه شخصية الجماعة التى تفوق وتطغى على شخصية الفرد • وقد رأى آخرون ان الافضل تسميته « برأى الجماعة » بدلا من « الرأى العام »[2] • ولكن وصف الرأى العام

---

(١) انظر G. Bird and Merwin, the Newspapor and Society, p. 7.

(٢) انظر المصدر السابق نفسه •

بالتعابير :« الوعى العـام للجماعة » أو « تفكير الجمـاعة » أو « شخصية الجماعة » ، تعابير عامة ويمكن تفسيرها فى أكثر من معنى واحد ، وأكثر من هذا انها لا تكشف لنا عن المقصود حقيقة بالرأى العام • وهذا مما حفز بعض المفكرين الى بحث موضوع الرأى العام على اسس تقوم على التفكير والاستنتاج وتعتمد فى شواهدها على ما هو واقع فى المجالات المختلفة التى يظهر فيها صدى الرأى العام • فقد قرر البحاثة روس (Ross) ان الرأى العام لايمكن ان يعبر عنه بتفكير الجماعة • وذلك لان مثل هذا الوصف يقود السامع الى ان هناك تفكيرا واحدا للجماعة وان هذا التفكير الواحد يشير كذلك الى ان ليس هناك اختلاف بين آراء الافراد المكونين للجماعة • ومتى ما اتفق الافراد جميعا فى وجهات نظرهم فان ذلك لا يمكن ان يطلق عليه « رأى » وانما هو عادات وتقاليد الجماعة التى اعتادوا على الاخذ بها • اذ أن الرأى العام ينبىء أن هناك « نقاشا » و « حديثا » و « وجهات نظر » مختلفة ، و « سلوكا » و « مواقف » مختلفة أيضا • وهـذا بالضبط ما دعـا البحاثة دووب (Doob) الى أن يقول ان اتخاذ المواقف ينجم عن المناقشات التى تدور فى مسائل معينة • وقد سمى دووب هذه المواقف بالاتجاهات التى يقفها الافراد أو الجماعات(٣) • ثم يذهب دووب الى أبعد من ذلك فيقول ان الذى يكوّن الرأى العام هو تفاعل الآراء الفردية بعضها مع بعض •

والواقع ان المحلل لما تقدم يجد ان الافراد والجماعات لا يختلفون فى وجهات نظرهم عفوا ، وانما لهذا الاختلاف بواعث علينا ان نتحراها • ولتوضيح ذلك يمكننا ان نقـول ان الذى يؤثر فى السلوك الاجتماعى والسياسى للافراد يرجع من حيث الاساس الى مؤثرات تتعلق بالمحيط الطبيعى الذى يحيط بالافراد والى مؤثرات هى من نوع آخـر وتتعلق بالبيئـة الاجتماعية والتى يمكن تسميتها بالمؤثرات البشـرية • ويدخل ضمن المؤثرات الطبيعية المناخ والتضاريس الجغرافية • أما المؤثرات البشرية فهى

---

(٣) انظر L. Doob, Public Opinion & Propaganda, ص (٩٥) •

تتمثل فى العادات والتقاليد والتعليم[٤] .

وفى الحقيقة ان الانسان « حيوان يستجيب لدوافع معينة بعضها ينبثق من نفسه وذاته ، وبعضها ينبعث من البيئـــة التى يعيش فيها ، واستجاباته متأثرة بهذه العوامل الذاتية والخارجية ، بالاضافة الى ما اكتسبه من المعرفة والمهارة . وقد تعلم كيف يحصل على ما يعود عليه بالنفع ، ويتقي ما يجلب له الاذى ، وهو يستطيع ان يفيد فى تجاريبه الماضية بعد الاطمئنان الى نتائجها ، فتصبح جزءاً من عاداته »[٥] . واذا كانت للبيئة الطبيعية آثار ملموسة فى نشاط وحيوية الانسان ، فان البيئة الاجتماعية تؤثر تأثيرا كبيرا فى أفكاره وتكوين عاداته وسلوكه وذوقه . وتبتدىء آثار البيئة الاجتماعية بالعائلة . فليس هناك ثمة شك فى ان المدرسة الاولى التى تؤثر فى أفكار الافراد هى مدرسة العائلة . فمنها يتعلم أفكاره الاولى التى تؤثر عليه حتى فى مرحلة رجولته . وتعمل أسس الثقافة العامة للبيئة الاجتماعية عمـل المدرسة الـكبرى فى التأثير فى أفكار واعتقادات الافراد والجماعات .

وعلى ذلك فان بيئة الفرد الثقافية بما فى ذلك اللغة والعقيدة والتى ترجع أصولها الى الماضى وتمتد الى الحاضر تسهم بصورة فعلية فى تكوين رأى عام للجماعة . وهذا الرأى ما هو الا المفاهيم والقواعد السائدة فى المجتمع والتى تمتاز بثباتها واستقرارها ودوامها[٦] . ومثل هذا الرأى العام يرى الـكثير من الـكتاب ـ وفى مقدمتهم باور ـ تسميته بالرأى العام الدائم "Enduring Public Opinion" أو الـــرأى العـــام الثـــابت "Static Public Opinion" [٧] . ومن ناحية أخرى ان هذا الرأى العام

---

(٤) انظـر الدكتور حسنين عبدالقادر ، الرأى العـام والدعاية ، (ص ١١) .

(٥) انظر المصدر السابق نفسه .

(٦) انظر

W. Bauer, "Public Opinion," The Encyclopedia of Social Sciences, 1934 (ص ٦٦٩ ـ ٦٧٠) .

(٧) المصدر السابق نفسه .

الثابت هو الاساس للرأى العام الوقتى "Dynamic Public Opinion" الذى يستند على التعقل "Pationalization" فى الحكم على مسائل الساعة المختلف عليها ولكنه يظل متأثرا بالرأى العام الدائمى •

ومن هنا كانت الدعاية المقصودة والمعدّة لتوجيه الرأى العام نحو وجهة نظر معينة ، لا تستطيع أن تتغلب بسهولة وتتلاعب بمقدرات الرأى العام الثابت القائم على اسس البيئة الثقافية • ومن هنا أيضا كان القواد الذين يركنون الى قواعد الرأى العام الدائم قوادا ناجحين يعرفون اتجاهات الرأى العام البعيدة وآمال مواطنيهم وأمانيهم القومية ويوجهون الشعب الى الطريق الذى يحقق له ما يصبو اليه(٨) • وهم بهذا يختلفون عن القواد الذين يعومون مع التيار السائد ولا يوجهونه الى الخير ، وانما يوجهونه الى الكراهية المستفزة للعواطف والميول السائدة بين الجماهير ، ومثل هؤلاء القواد يطلق عليهم بالقواد المهرجين (Demagogues) (٩) •

والرأى العام الوقتى أو المتبدل لا يتكون عفوا أيضا وانما يتكون تبعا للحوادث المختلفة التى تجابه المجتمعات سواء أكانت حوادث اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية • ومفعول هذه الحوادث هى ان تؤثر فى الافراد فتجعلهم اما ان يؤيدوها واما ان يرفضوها • ومتى ما اعرب الناس عما فى خلدهم فان الرأى العام يكشف عن نفسه وينقلب من رأى عام داخلى الى رأى عام مفصح عنه أو خارجى • ومتى ما اشترك العدد الاكبر من أفراد المجتمع فى تأييدهم أو رفضهم لحادثة ما ، عن طريق تفاعل آرائهم الفردية ومناقشتها ، نقول متى اشترك مثل هذا العدد الضخم ، عندئذ يتكون ما يسمى بالرأى العام الحقيقى(١٠) • ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد هو ان الرأى العام الحقيقى الذى يتميز باتخاذ الموقف المعين على أثر المناقشة وتفاعل الآراء

---

(٨) انظر عبدالقادر حسنين ، مصدر اتى ذكره سابقا ، (ص ٢٢) •
(٩) انظر المصدر السابق نفسه •
(١٠) انظر E. S. Bogardus, The Making of Public Opinion, ص (٥) •

بين الافراد يختلف كل الاختلاف عن الرأى العام المزيف • فكما هو معلوم ان الرأى العام المزيف لا يقوم على المعرفة والتفاعل الحقيقى بين الآراء وانما يقوم على ظروف غير طبيعية : كأن تستخدم القوة أو ان يتم نتيجة تعصب وعدم تسامح أو حين يفرض ديكتاتورا رأيه وتعمل وسائل الدعاية على دعمه ويؤيده الناس ظاهرا لا فعلا • وهذا أسوأ أنواع الرأى العام • ومثل هذا النوع يفقد الناس أملهم وأمانيهم ، ويجعل من الحياة صورة سوداء قاتمة ـ يشعر فيها الفرد انه لا قيمة له ، وكل هذا يعمل على تفكيك المجتمع وانحلاله وضعفه • ومتى كان الرأى العام متخذا هذا الثوب ، فان اثاره البعيدة تعمل على خلق شخصيات مزدوجة منافقة تعمل على تنميتها بيئتها الاجتماعية فتوجهها نحو الغُنم الشخصى وهنا تضيع المصلحة العامة ووحدة المجتمع •

ومن هنا يتجلى لنا ان ما تبتغيه الامم التى تصبو الى تحقيق التقدم الشامل هو ان تربى ابناءها على الصراحة والمعرفة والرأى الحر النزيه والحكم الصحيح على الامور • وتخشى أكثر ما تخشى فى أن يكون مواطنوها سطحيين غير عارفين ماجريات الامور • لان جهل المواطنين وعدم اهتمامهم يجعل منهم فريسة أمام الدعاية وخاصة اذا كانت دعاية « لا تكشف القناعة عن وجهها وتعيش مختفية متسترة ولا يعرف الناس مصادرها السرية ولا يحسون بحقيقتها ، فتندس فى زحمة الاعلام ، وتتنكر فى اثواب شتى حتى لا يكتشف امرها احد من الجمهور وهى تعمل عملها وتؤتى ثمارها دون مشقة كبيرة أو جهد • ولو تنبه لها الناس لاخذوا منها حذرهم واشاحوا عنها بوجوههم وانصرفوا عنها غير عابئين أو مكترثين • »(١١)

ذلك ان تربية المواطنين على المعرفة والتفكير الحر يمنع من تغلغل الدعاية السيئة بين ظهرانيه • ومما هو جدير ذكره ان الرأى العام الحر هو الذى

---

(١١) انظر « الرأى العام والدعاية » مصدر أتى ذكره سابقا ، (ص ٢٨) •

يكون الديمقراطية الصحيحة • ومتى ما أصبح حرا فانه يستطيع ان يقوم بوظائفه خير قيام • لاننا نعلم ان الرأى العام الحر هو الذى يضع القوانين الصحيحة التى تخدم المجتمع وتضمن سلامته وتحقق له التنظيم فى ميادين الحياة المختلفة وتعمل على ترسيخ المثل والقيم التى تؤمن بها الغالبية الساحقة فى المجتمع • وتكوين القوانين بهـذه الصورة معنـــاه تدعيم المديمقراطية والحرية • اذ أن القوانين التـ ى لا تعبر عن الرأى العام الحر الحقيقى هى قوانين جائرة وتعبر عن رأى عام مزيف قائم على حكم متسلط • وليس هذا فحسب • فانه اذا كان الرأى العام حرا ونابها فانه يقوم بمهمة البوليس لان المجرمين سوف يخشونه • انهم ســوف يخشون كلام الناس وحكم الناس وفى هذه الحالة يحول الرأى العام دون ارتكاب الجرائم • وبهذه الوسيلة يصبح أقوى وأسرع من القانون[١٢] • وبالاضافة الى كل ما تقدم ان الرأى العام الموحد الذى يترعرع فى البيئة السليمة ويعبر تعبيرا حقيقيا عن رغبات الاغلبية الساحقة من المجموع يعمل على رفع الروح المعنوية للامة ويعمل على توحيدها ولمّ شعثها •

أما الرأى العام الذى ينقسم الى عدة آراء أقلية دون ان يكون هناك رأى للاغلبية ، فانه يعمل على العكس من ذلك : يعمل على اضعاف الروح المعنوية[١٣] • وأول خطر يواجه الامة ويعمل على اضعاف معنوياتها هو خطر التطرف فى الحزبية وانقسام الرأى العام الى رأيين متخاصمين تخاصما عنيفا • ثم ان طغيان المصالح الشخصية على المصالح العامة لا يمكن ان يعتبر غير اتجاه يعمل على اضعاف الثقة وتفكيك التعاون والتماسك فى المجتمع وهو لا يقل كذلك خطرا من التطرف فى الحزبية •

ومن هنـا كان التعليم الذى يقوم على خطط حكيمة ومدروسة من أهم المقومات التى تخلق للفرد الجو الصالح وتجعل منـه مواطنـا صـالحا

---

(١٢) انظر
G. Atteberry & Others, Introduction to Social Science, (ص ١٧٧) •

(١٣) انظر عبدالقادر حسنين ، مصدر أتى ذكره سابقا ، (ص ٤٧) •

ومسؤولا يعمل بوحى من مصلحة الجماعة • فليس هناك شك فى ان تعليم ابناء الامة وتثقيفهم ثقافة صحيحة يكسبهم الثقة بأنفسهم ويُجنبهم من خطر الانقياد الى رأى مُبالغ فيه قد تعمد اليه الوسائل الاخرى التى تؤثر على الرأى العام بما فيها الراديو والتلفزيورن والسينما • لان التعليم كما هو معلوم هو الذى يفتح افاق الفكر ويمهد له الطريق للاستفادة من وسائل التثقيف الاخرى من صحف وكتب ومجلات • وهو الذى يربي الملكات والقابليات على المناقشة التى تتحقق باجلى صورها فى النظم السياسية التى تقوم على الحرية •

وهكذا نجد ان أفضل أنواع الرأى العام هو الرأى العام الذى يتكون عن وعى وثقافة ومسؤولية • وهو بهذا الوجه يمكن ان يؤدى ويقود الامة الى أفضل السبل لتقرير مستقبلها واختيار قادتها الخلّص وتحقيق سعادتها ورفاهها •

مصادر البحث

المصادر العربية

(١) الدكتور حسنين عبدالقادر : الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة ٠ (١٩٥٧)

(٢) الدكتور رياض شمس : حرية الرأى وجرائم الصحافة والنشر ٠

(٣) أعمال لجنة حرية الانباء التابعة للامم المتحدة ٠

(٤) الدكتور حسنين عبدالقادر : العوامل المؤثرة فى اصدار الصحف وانتشارها ٠ (١٩٥٦)

(٥) ميثاق الامم المتحدة ٠

(٦) الاعلان العالمى لحقوق الانسان ٠

المصادر الاجنبية

(1) Albig, W., Public Opinion, 1950.

(2) Atterberry, G. & Others., Introduction to Social Science, 1947.

(3) Bauer, W., "Public Opinion," in The Encyclopedia of Social Sciences, 1934.

(4) Bird, G. & Merwin., The Newspaper & Society.

(5) Bogardus, E., The Making of Public Opinion, 1951.

(6) Doob, L., Public Opinion & Propaganda, 1950.

(7) Warren, L., Journalism from A to Z 1947.